إسرائيل) تصارع على جبهة الدفاع عن شرعيتها

29-11-2003

لم يعد القلق الإسرائيلي يقتصر على مسائل الأمن والخوف من المستقبل، بل تعداه إلى ما هو أكبر : حقيقة وجود إسرائيل نفسها. فأغلب الإسرائيليين بدأ يشعر بأن الدولة العبرية التي طالما كانت تتغنى بقوتها وتفوقها العسكري ومناعتها الاقتصادية دخلت مرحلة الشيخوخة والتهاوي في ظل متغيرات سياسية وأمنية تغمر المنطقة. الإحصاءات الأخيرة التي بدأت تبرز في الصحف الإسرائيلية تشير بوضوح

بقلم وسام عفيفة

"البقاء والوجود وهاجس المستقبل"، هذا هو عنوان التحدي الذي تواجهه الدولة العبرية اليوم. فلم يعد القلق الإسرائيلي يقتصر على مسائل الأمن والخوف من المستقبل، بل تعداه إلى ما هو أكبر : حقيقة وجود إسرائيل نفسها. فأغلب الإسرائيليين بدأ يشعر بأن الدولة العبرية التي طالما كانت تتغنى بقوتها وتفوقها العسكري ومناعتها الاقتصادية دخلت مرحلة الشيخوخة والتهاوي في ظل متغيرات سياسية وأمنية تغمر المنطقة. الإحصاءات الأخيرة التي بدأت تبرز في الصحف الإسرائيلية تشير بوضوح إلى حالة من القلق و عدم الاستقرار، بل والرغبة في البحث عن مكان آخر غير إسرائيل. وهذا مرده -كما قال كاتب إسرائيلي- "إلى الإحساس بالغربة وتزايد العداء والكراهية لكل ما هو إسرائيلي".

* عقدة الغربة والوجود

الاستطلاع الأوروبي أصاب الإسرائيليين بالصدمة وأشعرهم "بأنه لا مكان لهم في العالم". المثال الأبرز الأخير هو الاستطلاع الإيطالي الذي أظهر أن سُدس الإيطاليين (17 في المائة) يعتقدون أن إسرائيل يجب أن لا تواصل وجودها. نتائج الاستطلاع أثارت الصدمة لدى إسرائيليين كثيرين، ويقول الكاتب الإسرائيلي يائير شيلغ في صحيفة "هارتس" :"لقد اعتدنا على التشكيك بوجود الدولة اليهودية، لدرجة أن أحدا لم ينتبه للإشكالية الكامنة في مجرد طرح مثل هذا السؤال، هل كان يجرأ من يقف وراء السؤال على طرحه إذا تعلق الأمر بدولة مثل إيران أو سوريا أو كوريا الشمالية؟، وفي المقابل بدأ المفكرون الغربيون يشككون بوجود إسرائيل باعتبارها دولة قومية ذات مفارقة تاريخية". ويضيف شيلغ :"هم - يقصد الأطراف الدولية- يهتمون فعلا بالجهة المسئولة عن عدم التوصل إلى تسوية، وكل ما يريدونه هو أن "يسود الهدوء"، ومن الطبيعي في نظرهم أن يدفع الطرف الأصغر الثمن عن ذلك. أضف إلى ذلك أن دولة اليهود لا تبدو في نظرهم صاحبة حق وجود طبيعي مثل أي دولة أخرى، و إنما دولة إحسان خاص وهبته الأسرة الدولية لليهود بسبب الكارثة، هدية يمكن استرجاعها إذا كان ثمنها مرتفعا جدا".

هذا الإحساس بالخوف على الدولة العبرية لم يعد قاصرا على الدول المعادية -العربية والإسلامية- بل حتى من الدول التي احتضنتها وغذتها بالمال والعتاد طوال أكثر من خمسين عاما، فالتحول الأوروبي بدا مخيفا في نظر كثير من الإسرائيليين لدرجة أن سياسيا كبيرا من حزب العمل الإسرائيلي وصف شارون بأنه "ليس له صديق في أي دولة أوروبية". ويقول الكاتب الإسرائيلي اليساري يارون لندون "إن تواتر مظاهر العداء لليهود تعاظمت بقدر أدى إلى صحوة حتى قادة أوروبا وأمريكا لفهم خطورتها". وفي مقالة نشرت في بداية الشهر الماضي في "نيويورك ريفيو اوف بوكس"، تحت عنوان: "إسرائيل: البديل"، كتب جاديت أن مسيرة السلام لم تمت وإنما قُتلت، وإن قاتليها هما عرفات وشارون. وحسب أقواله، فإن الحلم الصهيوني

تلاشى منذ زمن، وفي الواقع تتأسس بسرعة دولة ثنائية القومية بدل الدولة اليهودية. تلك الدولة اليهودية، واصل جاديت، أصبحت في خبر كان، وكأنها تعود لزمن آخر ومكان آخر. وحسب أقواله، فقد هدفت إلى حماية يهود العالم، ولكن جوهر وجودها، يعرضهم للخطر الآن.
جاديت يتهم حكومة إسرائيل بالفاشية (بسبب التهديد بالقضاء على ياسر عرفات، الزعيم المنتخب للفلسطينيين) ويزعم أن وضع إسرائيل عديم الأمل تقريبا، وإذا لم يتغير شيء ما خلال خمس سنوات، فإن إسرائيل لن تكون ديمقراطية ولا يهودية. مع افتراض أنه لا يمكن إخلاء أكثر المستوطنات، ويعتقد جاديت أنه لا مناص من الاعتراف بواقع الدولة ثنائية القومية حتى إذا كانت الأكثرية فيها فلسطينية.
مقالة جاديت تعكس توجها جديدا في أوساط المثقفين اليهود في الولايات المتحدة خلاصته التخلي عن إسرائيل بسبب سياستها في الأراضي الفلسطينية. وإذا كانت الولايات المتحدة هي نقطة الارتكاز الأساسية لإسرائيل في عالم مُعاد، فان يهود هذه الدولة هم قاعدة ارتكازها. فبدون دعمهم لإسرائيل لن تشعر الإدارة الأمريكية بنفس الالتزام "المكلف" نحو دولة على بعد آلاف الأميال.
ويقول الكاتب الإسرائيلي يهودا ليطاني في صحيفة معاريف الإسرائيلية تعليقا على هذه المقالة "يمكن استقدام آلاف الممثلين للطوائف اليهودية من الولايات المتحدة إلى هنا لعدد من الأيام من أجل التعبير عن التعاطف معنا، يمكن دفعهم للسير في شوارع العاصمة، ولكن بذور الشك الذي يتسرب في أوساط يهود الولايات المتحدة قد نبتت، ويسألون أنفسهم اليوم، من يؤيدون ولماذا يساعدون".
* الهروب من المستقبل
وتبين من خلال الاستطلاع الأخير الذي أجراه معهد جيوكرتوغرافيا بالتعاون مع الكلية الأكاديمية "سفير" من أجل "مؤتمر الدروب الاجتماعية" أن معظم الإسرائيليين سيسرهم إذا ما توفرت لأجيالهم القادمة "إمكانيات هروب" من الدولة العبرية. فقد أظهر استطلاع جديد أن 68 في المائة من الإسرائيليين معنيون بأن يحصل أبناءهم على جوازات سفر أجنبية. ويقول رئيس كلية "سفير" البروفسور زئيف تسحور، أن النتائج تدل على "خيبة أمل مريرة إزاء المسافة بين حلم الدولة وبين ما نتج، وخيبة الأمل لا تتناول بالذات مشاكل الأمن، والسبب الأساس لخيبة الأمل هو الهزيمة الاجتماعية". وبحسب روايات عدد من المعاهد الإسرائيلية التي تتابع التطورات داخل المجتمع الإسرائيلي، فان 750 ألف إسرائيلي في أرجاء العالم "ينتظرون فقط أن ينهي الولد الكلية"، وبعدها سيعودون إلى "ديارهم الأصلية". في وزارة الاستيعاب الإسرائيلية يقدرون بأن 750 ألف إسرائيلي يعيشون اليوم خارج البلاد، منهم 150 ألف طفل ولدوا وراء البحار ولديهم حق مواطنة إسرائيلية.
وقبل بضعة أشهر نشرت وزارة الخارجية تقريرا مشابها بشأن عدد المهاجرين من إسرائيل. وقدر هذا التقرير بان عدد الإسرائيليين الذين يعيشون في الخارج يبلغ نحو 650 ألف. ومن خلال إحساسها بالقلق الشديد على مستقبل الدولة قالت الوزيرة الإسرائيلية لفني لصحيفة "يديعوت احرونوت" بأنها قررت بان تنطلق وزارتها العام القادم في حملة إعلامية واسعة لتشجيع الإسرائيليين للعودة إلى الوطن، "نحن نعرف أن المناعة الوطنية لإسرائيل في المستقبل متعلقة بعدد اليهود الذين يعيشون هنا، ولا يمكننا أن نسمح لأنفسنا فقط أن نغضب على من يغادرون، ومن تمام الحكمة هي العمل لإعادتهم أو إعادة أبنائهم إلى البلاد".
* هاجس الهجرة
تاريخ الهجرة إلى إسرائيل يدل على أن يهودا قليلين جاءوا إلى هنا بسبب "توقهم إلى ارض الآباء والأجداد". موجات الهجرة الكبرى وقعت فقط عندما اكتملت ثلاثة شروط في آن واحد: ضعضعة

الأمن الجسدي لليهود في منفاهم، أزمة اقتصادية عميقة ألمت بهم، وانغلاق بوابات الدول الثرية في وجوههم.

للعودة للأعلى